

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[107] لَكَادِ يُؤْنَسُ (1). والقرآن الكريم يفضح المنافقين لدى الكافرين أيضاً ،
ويبيّن كذبهم ونكولهم إذ يقول: (الَّذِينَ تَرَى إِلَيْنَا الْكَافِرِينَ زَافَقُوا يَفْقَهُوا يُفْقَرُونَ
لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَهُمْ أَعْدَاءٌ مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْإِنْسَانِ الْقَاسِيَةِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَاللَّذِينَ أُولُوا الْأَلْبَانِ وَالَّذِينَ أُولُوا الْأَلْبَانِ
يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُمْ كَذِبُونَ) (2). جدير بالذكر أن القرآن استعمل
عبارة (إِسْتَوَوْا قَدَرًا نَارًا) أي إنهم استفادوا للنار من "النار" ذات الدخان والرماد
والحريق، بينما يستنير المؤمنون بنور الإيمان الخالص وبضوئه الساطع. باطن المنافقين
ينطوي على النار، وإن تظاهروا بنور الإيمان، وإذا كان ثمة نور فهو ضعيف في قوته وقصير
في مدته. هذا النور الضعيف المؤقت، إمّا أن يكون إشارة إلى الضمير والفطرة التوحيدية،
أو إشارة إلى الإيمان الأولي لهؤلاء المنافقين حيث أُسُدت عليه ستائر مظلمة على أثر
التقليد الأعمى والتعصب المقيت واللجاج والعداء، فتحوّلت ساحة حياتهم لا إلى ظلمة، بل إلى
"ظلمات" في التعبير القرآني. وهؤلاء سيفقدون في النهاية قدرة الرؤية الصحيحة، والإستماع
الصحيح، والنطق الصحيح، وهذه نتيجة طبيعية - كما ذكرنا سابقاً - للإستمرار على الإنحراف
والإصرار على الغي، حيث يؤدي إلى إضعاف آليات الإدراك لدى الإنسان فيرى الحقائق مقلوبة،
فالخير في نظره شرّ، والملك شيطان، وهكذا. على أي حال هذا التشبيه يوضّح واحدة من
حقائق النفاق، وهي إن عمر النفاق والتذبذب لا يدوم طويلاً، قد يستطيع المنافقون لمدة
قصيرة أن يتمتعوا _____ 1 - المنافقون، 1 و 2. 2 -
الحشر، 11 و 12.